رحلة صاحب المنار

﴿ في سورية ﴾

٤

حمص. وحماها الاجتماعية

سافرت في اليوم الثاني من شوال من بعلبك الى حمص والمسافة بينهما في القطار الحديدي ثلاث ساعات وقد وصل القطار الى محطة حمص الساعة ٨ و٤٥ دقيقة مساء فاذا بالصديق الكريم والولي الحميم السيد عبدالحميد افندي الزهراوي ينتظرني فيها مع طائفة من أهل العلم وكرام البلد في مقدمتهم الشيخ احمد نبهان الذي حببه الينا على البعد مانمي الينا من عقله واخلاقه وحبه للاصلاح مع علمه وحسن سيرته

أقمت في حمص أربع ليال وثلاثة أيام في دار الزهراوي ولقيت فيها اكثر أهل العلم والمكانة من المسلمين والنصارى اذ كانت الدار غاصة بهم ليلا ونهارا وقد رأيت في هذه البلد من الوفاق بين الفريقين وحسن الألفة مالم أر له نظيرا في سائر البلاد السورية ولا بيروت فان جل مامدحناه من أهل بيروت هو ترك التقاتل والتسافك ولا يزال كل فريق فيها بعيدا عن الآخر في المعاشرة والمعاملة الا مالا يخلو منه مكان بحكم طبيعة الاجتماع وحاجة بعض الناس الى بعض حتى انني قلت لكثيرين منهم انني أرى الوفاق الذي حمدناه لكم على البعد سلبيا لا إيجابيا وصرحت بذلك في نادي الجامعة العثمانية ودعوت الناس في خطبة خطبتها في ذلك الى التزاور والتعامل وغير ذلك من اعمال الوفاق الايجابي

وقد كنا توهمنا ونحن بمصر ان الشقاق بين مسلمي حمص ونصاراها شديد لحادثة جرت في الاحتفال بعيد الحرية كبرتها الجرائد فوجدنا الأمر على ضد ما كتب في ذلك فانني ما رأيت في بيت من بيوت طرابلس ولا بيروت مثلما رأيت في بيت الزهراوي من اجتماع الفريقين كل ليلة من ليالي الشتاء للسمر ومبادلة الآراء .

ثم انني لم أر في حمص ما رأيت في غيرها من الاضطراب والاعتصاب والافتيات على الحكام والتبرم من جمعية الاتحاد والترقي . ومن أسباب ذلك ان اعضاء لجنة الجمعية المركزية كانت مؤلفة من أناس مؤتلفين متعارفين لا ينقم الناس منهم شيئا ولا يشكون منهم إهانة ولا شذوذا وقلما اتفق هذا للجنة أخرى كما يعلم مما نكتبه بعد عن الجمعية

نعم انه ينتقد على أهل حمص ما ينتقد على أهل طرابلس من الخمول والسكون فهم لم يشرعوا في عمل مفيد للبلاد . وقد حثت طائفة من الوجهاء على تأليف جمعية خيرية إسلامية لأجل إنشاء المدارس الاهلية ومساعدة الفقراء على تربية أولادهم وتعليمهم فألفيت منهم ارتياحا واستحسانا وقد مرت الشهور ولم يشرعوا في العمل ولكننا لم نيأس من همتهم وغيرتهم فعسى ان يسمع منهم عن قريب ما تقر به العين

هذا وان عمران حمص ينمو نمواً عظيما والزراعة والصناعة تتقدم فيها تقدما بينا ولكنها متخلفة عن طرابلس في ترف الحضارة وان كانت سابقة لها في مضمار العمران بل هي وسط في التأنق في الاطعمة بين مثل طرابلس وبيروت ودمشق وبين القرى الكبيرة التي يوجد فيها أغنياء يعيشون في بلهنية فالظاهر ان التأنق في حمص خاص ببعض أهل السعة والبيوت المطروقة وان الفقير في طرابلس ليتنوق في طعامه ما لا يتنوق الاغنياء في كثير من المدن ، واني لأعلم ان المصري المقيم في القاهرة نفسها الذي يزيد دخله في الشهر على دخل الطرابلسي في السنة لا يأكل من الحلوى في السنة كلها بقدر ما يأكل الطرابلسي منها في شهر واحد . فقلة التنوق في الاطعمة بحمص محمدة لها عندي إذا كانت تحفظ ثروتها من التلف في غير ذلك من ضروب السرف وتجعل حظا منها عظيما للتعليم والتربية

طرابلس أيضا

سافرنا من حمص قبيل الفجر من يوم السبت سادس شوال (١٣ اكتوبر) في مركبة من مركبات «شركة الشوسة» فوصلنا إلى طرابلس بعد العصر وطفقت أتهيأ للسفر إلى مصر ، وكنت عازما على السفر في يوم السبت التالي لهذا السبت (١٣ شوال و ٧ نوفمبر) ولكن عرض ما حال دون ذلك

جمعية خيرية اسلامية بطرابلس

في يوم الاربعاء (١٠ شوال) رغبت إلى مفتي طرابلس أن يقوم بتأليف جمعية خيرية إسلامية كالجمعية التي بمصر وذكرت له موضوعها وأعمالها ووجوه الحاجة إلى مثلها في طرابلس وأهمها إنشاء المدارس لتعليم أولاد الفقراء على نفقة الجمعية وأولاد الاغنياء بالاجرة . فأجاب بأنه مستعد لذلك بماله وحاله واستحسن أن أدعو الوجهاء والاغنياء إلى ذلك فقلت له انت كبير البلد وزعيمها وانا قد صرت غريبا او كالغريب لانني مسافر بعد ثلاث فاذا لم تقم انت بهذا العمل لا ينجح . ثم رضي بأن يكون هو الداعي لهم إلى الاجتماع على انهم متى اجتمعوا أخطب فيهم فان أجابوا الدعوة ألقي أوضحها لهم وأبين وجه الحاجة اليها كان هو أول العاملين والمساعدين في التنفيذ

وأقول ههنا ان رشيد افندي كرامي مفتي طرابلس على كونه سيد بلده وأوسع أهلها ثروة وجاها هو أقرب وجهائها وأغنيائها إلى الخير وأبعدهم عن كل شر وأطيبهم نفسا وأبسطهم مع القصد والروية يدا كما يظهر ذلك لمن يعاشره خلافا لما عليه أكثر الاغنياء في بلاد نافهو لا يدع لطالب الاصلاح في العلم أو العمل حجة عليه بل يجيب كل داع إلى خير كعبد الرحمن باشا اليوسف في دمشق ولكن لا يقدم واحد منهما على ابتكار العمل والنهوض به بل يقولان مثلما كان يقول هنا حسن باشا عاصم (رحمه الله تعالى) أوجدوا العمل وطالبوني بالمساعدة أجبكم اليها . وإنما كان هذا يساعد بالعمل وذاك يساعدان بالمال فهما خير أغنياء بلادهما

كان عذر حسن باشا عاصم في عدم الاقدام على الابتكار وإيجاد المشروعات هو عدم الثقة باجابة الناس وثباتهم على العمل ولابن اليوسف في دمشق وابن كرامي في طرابلس مع مثل هذا العذر أعذار أخرى ككثرة أعمالها وما لا حاجة إلى بيانه الآن من حال البلاد وغير ذلك

ذهبت في ذلك اليوم (الاربعاء) إلى القلعون فهيأت ثيابي وحاجي وأرسلتها إلى الميناء في يوم الجمعة وعدت إلى طرابلس مع كثرة الأمطار مساء لان المفتي كان وعدني بجمع الوجهاء ليلة السبت لاجل تأسيس الجمعية الخيرية فألفيته قد أوجأ

دعوتهم للاشتغال بانتخاب المبعوث عن طرابلس لان الولاية أمرت بإتمام الانتخاب يوم السبت ولكثرة الامطار التي كان يظن انها تحول دون عودتي من القلمون على قرب المسافة وقال ان أقرب وقت يمكن ان يجتمعوا فيه إذا نحن دعوناهم بعد انتخاب المبعوث غداً هو ليلة الثلاثاء فرأيت ان أرجي السفر أسبوعا لأجل إتمام هذا العمل الشريف

ملخص خطبته

وفي ليلة الثلاثاء اجتمع في دار عمر باشا المحمد نحو من عشرين رجلا إجابة لدعوة المفتي وهم من وجهاء لواء طرابلس لا المدينة نفسها فقط فخطبت فيهم خطبة بينت فيها فوائد الجمعيات وأنواعها وتأثيرها في ترقية البشر في العلوم والاعمال الدينية والدنيوية وكون الخيرية منها من الضروريات التي لا يخلو منها بلد من البلاد المرتقية حتى ان الرجل الافرنجي إذا مر في سياحته على بلد وأراد أن يبذل شيئا من ماله لمساعدة فقراء أهله فانه إنما يرسله إلى الجمعية الخيرية في ذلك البلد وربما وضع أحدهم حوالة مالية في كتاب وكتب عليه « الجمعية الخيرية » ووضعه في صندوق البريد من غير أن يسأل هل يوجد في هذا البلد جمعية خيرية أم لا كأن الجمعيات الخيرية من الامور الضرورية التي لا يمكن ان يخلو بلد منها . وذكرت ذلك المشهود الذي جاء القاهرة وأراد بعد ان ربح بأعماله فيها ربحا عظيما أن يخصص ليلة يجعل دخلها للجمعية الخيرية الاسلامية فيها فكان ذلك سبب تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية

ثم قلت: أيها السادة ان حكومتكم قد دخلت في طور جديد فصارت ديمقراطية أمرها بيد الشعب بعد أن كانت استبدادية شبه الارستقراطية بالاغنياء والشرفاء من النفوذ فيها . واعلموا ان كثيرا من الاحرار الذين انقلبت السلطة الاستبدادية بسببهم متطرفون في الديمقراطية وان معظم الاحكام ستكون في أيديهم عاجلا أو آجلا وأن الشعب سيشعر بهذا وينسب اليه كراهة الكبراء والاغنياء فيكرههم وتنفخ فيه روح الاشتراكية فيهيج عليهم بالفعل فاذا جاء طرابلس متصرف متطرف من الديمقراطيين الذين أشعرت البلاد بكون والي الولاية منهم أيضا فاعلموا ان ما تعودتموه من

الجاه والكرامة في وطنكم لا يبقى لكم الا اذا كان الشعب يحبكم بتحبيكم اليه قبل ذلك والا دهوركم واسقطكم كما فعلت قبله الشعوب الافرنجية بأولئك النبلاء الذين كانوا يملكون أوربا ويتصرفون فيها تصرفا لم تصلوا الى مثله من كونت ودوق ومركيز ثم يقوم من طبقات الشعب الدنيا من يتولى الزعامة في البلاد بحق أو بغير حق. وما أظن ان صدوركم تنشرح لتلك الحال ولا ان اعينكم تبتهج برويته. وانني أحب ان تكونوا أنتم زعماء بلدكم في زمن الحرية وتحت ظل الدستور بأن تتحببوا الى الشعب منذ اليوم بنشر التربية والتعليم فيه ومواساة الفقراء والمساكين من أهله

انني لا أحب الارستقراطية وان كنت من بيت شريف، وانني ما زلت من دعاة الديمقراطية بلسان السياسة ولسان الدين، وانما أميل الى بقاء زعامة وطني في وجهائه وايا كم أعني لاعتقادي انه لا يوجد في دهمائه من يصلح للزعامة كما وجد في فرنسا عند ما صارت ديمقراطية

الفرق بيننا وبين فرنسا بعيد، ان فرنسا كانت قبل ثورتها المشهورة قد استعدت ما لم نستعد بمثله نحن اليوم حتى نبغ فيها من دهماء الشعب من يصلحون للزعامة بعلومهم وأعمالهم وآرائهم وأخلاقهم

انني لعلمي بهذا الفرق ولما رأيت في بلاد مصر التي تمتعت بالحرية قبل بلادنا من العبر وهبوط قوم وصعود آخرين أقول ما أقول عن خبرة وبصيرة وأحب ان نعتبر نحن العثمانيين بحال الامة الانكليزية التي هي أعرق الامم في الحرية وأكثرهن استفادة منها فهي الأمة التي حافظت على كرامة النبلاء وحرمة البيوتات فيها بعد الديمقراطية الراسخة واستفادت من ذلك كثيرا. وأرى ان إسقاط الشعب لكرامة أصحاب البيوتات منا وتسلق أفراد الطبقات الدنيا للزعامة فينا مع ما هم عليه من الجهل يقف في طريق نهضتنا وأن عناية وجهائنا بحفظ كرامتهم وحرصهم على ان يكونوا هم زعماء الشعب يكون أسرع في تقدمه إذا هم أتوا البيوت من أبوابها فتهيم في الغالب على شيء من الاخلاق والعلم أو الاختبار

ثم قلت ان خدمة الأمة والتحبب اليها لا يكونان بالتعاون على تربية أولادها وتعليمهم ما به قوام حياتهم ومواساة المنكوبين والمعوزين من فقرائها وذلك لا يتيسر

الا بتأليف جمعية خيرية يجعل منظورها انشاء المدارس وباقي لإعانة المنكوبين والمعوزين وهذا ما أدعوكم الى الاكتتاب له بلسان فضيلة المفتي الخربص على هذا العمل المبرور الراغب في هذا السعي المشكور وسيجتمع لديلة أخرى لاجل المذاكرة في القانون الذي يوضع لذلك وانتخاب الاعضاء العاملين . ثم شرعا في الاكتتاب وافتتحه المفتي في ورقة كتبت في اعلاها ما نصه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« وتعاونوا على البر والتقوى »

هذا بيان ما تبرع به الذوات المذكورة اسماؤهم بخط يدهم ادناه لتأسيس جمعية خيرية إسلامية في طرابلس الشام لنشر التعليم الديني والدنيوي على الطريقة العصرية ولإعانة المصابين والمنكوبين المعوزين بمقتضى قانون يجري العمل بموجبه بعد إقرار المكتتبين له في اجتماع خاص وقد جرى هذا في ليلة ١٦ شوال سنة ١٣٢٦ للهجرة الشريفة .

﴿ اسماء المكتتبين لتأسيس جمعية خيرية اسلامية بطرابلس الشام ﴾

وقد كتب اسماء المكتتبين مع الألقاب وهم كتبوها مجردة كما هي الماذكورة هنا على حسب قيمة الاكتتاب

ليرة عثمانية

١٠٠	مفتي اللواء وشيد افندي كرامي
١٠٠	عمر باشا الحمد من اعيان اللواء
٠٣٠	عثمان باشا الحمد «
٠٢٠	علي باشا الحمد «
٠٢٠	مصطفى افندي عز الدين من كبار التجار
٠١٠	عبد القادر باشا اللادقي رئيس شركة الترام والنور
٠٠٥	ابراهيم بك الاحدب من الاعيان

لبرة عثمانية

٥٠٠ احمد افندي سلطان وكيل الدعاوى (الخامس)
٥٠٠ خير الدين بك عشره من كبار التجار
٥٠٠ عبد الحي افندي الملك من الوجهاء
٥٠٠ عبد القادر افندي القباني اليرزي الشهير (وكان في طرابلس)
٥٠٠ عبد القادر افندي الدوق من كبار التجار
٥٠٠ عبد فؤاد افندي الدوق «
٥٠٠ محمد سعيد بك (ميرلواء متقاعد بحبي الولاية) الذي كان وكيل المتصرف بوش
٥٠٠ محمد كامل بك البحيري صاحب جريدة طرابلس
٥٠٤ عبد اللطيف افندي الخلايلي وكيل الدعاوى
٥٠٣ محمود افندي المداد من التجار
٥٠٢ الشيخ اسماعيل افندي الحافظ رئيس كتاب المحكمة الشرعية
٥٠٢ صبحي بك شريف
٥٠١ عبد الرحمن افندي أديب من التجار

٣٣٦ المجموع

وقد وعد بعض هؤلاء بأن يدفعوا أكثر مما كتبوا منهم مصطفى افندي عز الدين والشيخ اسماعيل افندي الحافظ فما وعد بعض من حضر وكتب اسمه ولم يبين مبلغا كعبد الله افندي القين من كبار الوجهاء أصحاب النفوذ الادبي في اللواء وحضر مجلس الادارة الآن

هذا وان الذين أجابوا الدعوة وحضروا الاجتماع هم زهاء خمس من دعاهم المثبتون وقد أبى حضورها بعض المفتخرين بالمجد التليد الذين يرون انهم يستغنون به عن المجد الطريف ومنهم من صار يسعى بعد ذلك في إبطال العمل ويثبط عنه وكان لسعيهم هذا تأثير أوقف التنفيذ إلى أجل ولولا ذلك لما ذكرت من أمر هذه الجمعية إلا ان جماعة من أهل الفضل في طرابلس أسسوا جمعية خيرية إسلامية فلهم الشكر والثناء

يوجد في كل بلد أفراد مجردون من حب الخير ويرون أنهم أهل لأن يوصفوا بكل خير ويؤلمهم منظر الخير في غيرهم لأنه يعملة تحلى بما أعوزهم وأعجزهم فهم يقعدون بكل طريق من طرق الخير يصدون عنها ويثبونها عوجا . لأجل هؤلاء أحب مفتي طرابلس أن لا تؤسس الجمعية الخيرية إلا بعد دعوة جميع الوجهاء حتى لا يعتذر بعد ذلك أعداء الخير بأنهم لا يساعدون هذا العمل لأنهم لم يدعوا اليه عند التأسيس ونعم ما أحب وما رأى

على أن بعض من دعي ولم يجب ممن ذكرنا وصفهم انتدبوا لإحباط العمل والتثبيط عنه حتى ان منهم من لم يستح من مخاطبة المفتي نفسه بذلك ولما لم يجد وجها وجيها للتثبيط قال له انه لا ينبغي لسماحتكم ان تقوموا بهذه الجمعية عن دعوة فلان فأجابه المفتي جواب العاقل الفاضل فقال أولاً ان هذا العمل خير لا ريب في نفعه وفائدته فسواء كان من دعاني اليه دوني أو مثلي أو فوقي لا فرق في ذلك وثانيا ان الداعي الى ذلك هو واحد منا ومن أهل العلم والشرف فينا وليس له منفعة شخصية ولا غرض ذاتي حمله عليه ولا هو يريد الاقامة في هذه البلاد فتقول انه ينفرد بشرف العمل فيه حبا بالشهرة الخ

إني لما علمت بمثل هذا القول الذي قيل للمفتي ولغيره كففت عن السعي فيما كنت آخذا فيه من تأليف لجنة موقتة لادارة العمل والدعوة إليه الى ان يشترك في الجمعية عدد كثير تتألف منه الجمعية العمومية التي تنظر في القانون وتنتخب من افرادها اعضاء للادارة . وكنت اسعى الى من اظن فيهم الخير في بيوتهم ومحل عملهم . وإنما كففت لأرى ماذا يصنع المعذرون او المثبطون هل يتفقون مع المفتي وينهضون بالعمل لم يرتاحون الى السكوت عنه لأنه هو المقصود لهم بالذات؟ فتبين بعد ذلك انهم لا يريدون الا إحباط العمل لانهم لا يعملون الخير ولا يحبون ان يعمله غيرهم

وقد كتبت في مذكراتي في أوائل شهر ذي القعدة ما نصه : ذكر لي غير واحد من الوجهاء أن مجامع الجمعية الخيرية الاسلامية بطرابلس لا يرجى وان الذين اكتتبوا إنما استحيوا مني وهم لا يعتقدون انهم يدفعون شيئا بل قالوا ان المفتي نفسه يساير مسايرة ويمشي بأن سيبذل مجهوده وهو يعتقد ان التقصير سيظهر من غيره . وألح علي (فلان) ..

بأن اترك التشبث بالجمعية . وظهر لي انه يرى ان ذلك ينفر القوم مني من حيث لا أستفيد مما أريد شيئا » الخ ما كتبته في شأن افراد معينين من قائل ومقول فيه

أكتب هذا ليعلم أصحاب النية الصالحة في طرابلس كالمفتي وغيره السبب في اكتفائي بعد ذلك بانتقاء نفر من يرجى نجدتهم لإدارة الجمعية موقتا وايذان المفتي بذلك في يوم الاربعاء ٢٣ ذي القعدة (١٦ دسمبر . ك ١) بعد دعوة كل واحد منهم على حدته ووعده لي ببذل الجهد في ذلك الا واحدا منهم (وهو محمود افندي الملا) قال انه لا يدخل في العمل إلا بعد ان يشرعوا فيه بالفعل . وان لي رجاء قويا في همة المفتي وغيرته وهمة أولئك الأنجاد بأن ينهضوا بهذه الجمعية نهضة صالحة بعد هدوء الاضطراب الذي احدثه ضعف الحكومة الجديدة والاستواء على حال ثابتة . واني اساعدهم بالقلم من هنا وا كون عونا لهم على اليائسين الذين لم ا كتب ما كتبت الآن الا ليعلموا ان كيدهم في تضليل « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

حقوقنا المهضومة ونائب طرابلس الشرعي

لقد علم القاصي والداني من عثماني وغير عثماني أن حكومة الاستبداد الماضية قد أسرفت في الجور على بيتنا وظلم أهلينا انتقاما مني (راجع فاتحة السنة الثانية عشرة في الجزء الماضي) وكان من ذلك الظلم انه لما توفي والدنا تغمده الله برحمته صرت أنا المستحق بعده للتولية على جامع القلمون الذي جدده فيها جدنا الثالث بحسب نظام التوجيهات الناطق وفاقا للشرع بأن يوجه ماينحل عن الوالد من الوظائف المتعلقة بالاوقاف الى أكبر أولاده ولكن حكومة الرشوة والاستبداد وجهت تولية مسجدنا على رجل آخر اسمه عثمان النصري واشتهر انه اعطى القاضي (نوري افندي) على ذلك اربعين ليرة . ثم اعطاه رجل آخر اسمه الشيخ محمود حسن ـ على ما شاع وذاع ـ سبعين أو ثمانين ليرة فعزل عثمان النصري بعد دعوى ملفقة ووجه التولية على محمود حسن

فلما أردت السفر من طرابلس الى مصر قدمت دعوى الى المحكمة الشرعية ملخصها ان تولية محمود حسن على جامع القلمون غير صحيحة وانني أنا صاحب الحق في هذه التولية فأطلب توجيهها علي عملا بالنظام واذا فرضنا أن توليته صحيحة فانني اثبت خيانته بترك معاهد الوقف عرضة للخراب وترك عمارة ما خرب منها في زمن

تولية والزيادة في النفقات والنقص من الربح ووكلت عني وكيلين شرعيين ثم تهيأت للسفر فحدث ما ذكرتُه من التشبث بتأسيس جمعية خيرية ثم جاء نبأ برقي بأن نيابة طرابلس (أي قضاءها الشرعي) وجهت الى عبد المجيد افندي الجعفري وانه سيسافر من الاستانة قاصدا طرابلس ثم لم يلبث ان حضر

عرضت الدعوى على هذا النائب فقال لي انني أقول لك وان كان لا ينبغي للقاضي ان يصرح برأيه قبل الحكم ان حقك ظاهر ولقد ملأت يدك باستيفاء المعاملة الشرعية وما كنت على ثقة من ظهور هذا الحق اعتقدت ان الدعوى تنتهي في اسبوع او اسبوعين فأطلت السفر وتابعت سير الدعوى بنفسي وأنا أظن في كل أسبوع انني افرغ فيه من الدعوى وأسافر في الذي بعده وكنت عازما على الاقامة في سورية خمسة اسابيع فقط لكثرة شغل في مصر فأقمت ستة اشهر والدعوى على حالها يزيدها النائب كل يوم تعقيدا

اني لم أكد اجالس هذا القاضي مرتين او ثلاثا الا وقد جزمت بأنه سيهان في طرابلس إهانة لم يسبق لها نظير فكنت حريصا على إنجاز قضيتي قبل ظهور حقيقة حاله التي تقتضي مفارقته بالقرامة وكاشفت به غير واحد ولكن هذا القاضي لا يحجز عملا أن يعتمد شرعا في نيل حقه على انه حق وقادر على إثبات حقه

انتدب هذا القاضي موكيل جلسات الدعوى وبعث وكيل الخصمين على كتابة ما شاء في جريدتها وباطل في قراءة ما كتبا وقد ثبت لديه ان توكيل المدعى عليه غير صحيحة وانه خائن لتركة للمرأة الواجبة شرعا كما تبين بالكشف من قبل المحكمة وشهادة الشهود ومع هذا لم يحكم بشيء حتى آن الأوان وضج الالوف من الناس بالشكوى منه واجتمعوا عند المحكمة وهم ألوف ينادون فليسقط القاضي الخائن المرتكب وشكوا أمره الى المشيخة الاسلامية فثبت بالتحقيق وهم يشكون منه أمورا كثيرة ذكرت في جريدة لسان الحال وغيرها منها التطويل في المرافعات وعدم الحكم فيها بعد انتهائها كما حدث معي حتى امتنع الوكلاء (المحامون) عن المجيء الى المحكمة ومنها أنه قد يحكم ثم يرجع عن حكمه بعد كتابته ومنها كراهته الحكومة الدستورية واعتزازه بكونه من جمعية «فدا كار ان ملت» وقد علمنا بعد ذلك انه كان نائبا في صيدا فأحدث فيها فتنة حتى هرب منها بلا وان ذلك شأنه في كل بلد كان فيها حاكما

(لها بقية)

﴿ قانون المطبوعات وتقييد الصحافة بمصر ﴾

لم نكد نستقر قدمنا بمصر بعد عودتنا من سورية (في الاسبوع الاخير من هذا الشهر) حتى صكّ سمعنا نبأ عزم الحكومة على العمل بقانون المطبوعات الذي وضع عقب الثورة العرابية لكلا تعيد الجرائد ذلك النهيج سيرته الاولى. ثم سمعنا ان هذا كان عن اتفاق بين الامارة المصرية والحكومة الانكليزية وان نظار الحكومة المصرية لم يكن لهم به من علم الآن يكون رئيسهم الجديد يطرس باشا غالي وانهم عندما فوجئوا بطلب تقرير ذلك القانون ابوا وقضوا الاستطالة على ذلك وروت بعض الجرائد الافرنجية ان سعد باشا زغلول ناظر المعارف ومحمد سعيد باشا ناظر الداخلية هما اللذان عارضا وكادا يستقيلان ثم اقنعا فلم يستقيلا وان الوزارة لم ترض اخيرا بتنفيذ ذلك القانون الا بعد تعديل ما وافقا على عدم التضييق به على المطبوعات ولا المراقبة على الكتب التي تطبع ولا المطابع التي تطبعها وانه ينحصر المراقبة بالجرائد لتحذيرها من الاسراف في الطعن والهجاء الذي لم يسلم منه الامير ولا رجال الحكومة فضلا عن غيرهم ومن تهييج الناس على الاحوال التي قد تحدث الاضطراب وتثير السخط العام على الحكومة. ولقد كان وقع نبإ هذا القانون أليما شديدا على رجال الصحافة وغيرهم ويخشون ان يكون مبدأ الشر اعظم منه الامن هم على رأي السلطة التي أعادته

كان الادارة الانكليزية في مصر مزيتان عظيمتان لا نزاع فيهما ويقول الكثيرون انه يكن لها من مزية سواهما الا وهما يسر البلاد المالي وسرية الطباعة وقد ذهبت العسرة المالية بمزية الاولى وكانت انكلترا قادرة على تقريبها كما فرجت عسرة أميركا التي هي أعظم منها بكثير من الاضعاف فاذا زالت المزية الثانية بقانون المطبوعات الجديد فأية مزية تبقى لهم في مصر يتمنون بها على البلاد ويفاخرون بها الامم وكلا الامرين حدث بعد مغادرة نوبار كرسي مصر وهو الذي كان صاحب المزيتين عن ان المذهب الوطني وجرائده واكثر الجرائد الاخرى وهنها الجديد كادوا يحصرون شكواهم من الاحتلال في شخصه فصاروا كغريم الروم يمثل بقول الشاعر:

رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه